وَمِنْ خصائصِه – صلى اللهُ عليه وسلم – أنَّ اللهَ جمعَ له كُلَّ مراتب الوحي

الأولى:

الرؤيا الصالحةُ: روى الشيخان في صحيحيهما عَنْ عائشة – رضيَ اللهُ عنها – قالتْ: (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)[١].

قالَ الحافظُ في الفتح: (المرادُ بفلقِ الصبحِ ضياؤُه، وَخُصَّ بالتشبِه لظهورِه الواضحِ الذي لا شَكَّ فيه)[٢].

الثانية:

مَا كانَ يلقيه المَلَكُ في روعِه[٣] وقلبِه مِنْ غيرِ أنْ يراه؛ فعنْ ابنِ مسعود – رضيَ اللهُ عنه – قالَ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –: ((**إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ**))[٤].

الثالثة:

أنَّه – صلى اللهُ عليه وسلم – كانَ يتمثلُ له المَلَكُ رجلًا، فيخاطبه حتى يعيَ عنه ما يقولُ له، وفي هذه المرتبةِ كانَ يراه الصحابةُ أحيانًا.

الرابعة:

أنَّه – صلى اللهُ عليه وسلم – كانَ يأتيه في مثلِ صلصلةِ الجرسِ، وكانَ أشده عليه، فيتلبسُ به المَلَكُ حتى إنَّ جبينَه – صلى اللهُ عليه وسلم – ليتفصدُ عرقًا في اليومِ الشديدِ البردِ، وحتى إنَّ ناقتَه لتبركُ به إلى الأرضِ إذا كانَ راكبها، ولقدْ جاءَه – صلى اللهُ عليه وسلم – كذلكَ وفخذُه على فخذِ زيد بن ثابت – رضيَ اللهُ عنه – فثقلتْ عليه حتى كادتْ ترضها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، (٣)، وكتاب التفسير، (٤٩٢٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله – صلى اللهُ عليه وسلم –، (١٦٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، (١/٣٤).

(٣) الروع: بضم الراء هي النفس، انظر: النهاية، ابن الأثير، (٢/٢٥٢).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، باب إن الله لا يُنَالُ فَضْلُهُ بمعصيتِه، (٢١٨١)، وأبو نعيم في الحلية، (١٠/٢٦)، ورواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، (٢١٤٤)، وهو حديث صحيح.

روى الشيخان في صحيحيهما عنْ عائشة – رضيَ اللهُ عنها –، أنَّ الحارثَ بن هشام – رضيَ اللهُ عنه –، سألَ رسولَ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – فقالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**، قَالَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا –: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا))[٥].

وفي روايةٍ أخرى عنها – رضيَ اللهُ عنها – أنها قالتْ: (فأخذَهُ – صلى اللهُ عليه وسلم – مَا كانَ يأخذُه مِنَ البرحاء عندَ الوحي، حتَّى إنَّه يتحدرُ منه مثلُ الجمانِ مِنَ العرقِ، في اليومِ الشاتِ مِنْ ثِقَلِ القولِ الذي أُنْزِلَ عليه)[٦].

الخامسة:

أنَّه يرى المَلَكَ في صورتِه التي خُلِقَ عليها، فيوحي إليه ما شاءَ اللهُ أَنْ يوحيه، وهذا وقعَ له – صلى اللهُ عليه وسلم – مرتين؛ قالَ اللهُ تعالى: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}** [النجم: ١٣-١٤].

روى الإمامُ مسلم عنْ عائشة – رضيَ اللهُ عنها – أنَّ النبيَّ – صلى اللهُ عليه وسلم – قالَ: ((**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**))[٧].

وروى الترمذي في جامعِه بسندٍ صحيحٍ عَنْ مسروق قالَ: قالتْ عائشةُ – رضيَ اللهُ عنها –: (لم يَرَهُ في صورتِه إلا مرتين: مرةً عندَ سدرةِ المنتهى، ومرةً في جيادٍ له ستمائة جناح قَدْ سَدَّ الأفقَ)[٨].

السادسة:

مَا أوحاه اللهُ إليه وهو فوقَ السماواتِ ليلةَ المعراجِ مِنْ فَرْضِ الصلاةِ وغيرها[٩].

---

(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي إلى رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –، (٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبيّ – صلى اللهُ عليه وسلم – في البرد، (٢٣٣٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: **{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا}** [النور: ١٢]، (٤٧٥٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، (٢٧٧٠).

(٧) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قولِ اللهِ – عزَّ وجلَّ –: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}** [النجم: ١٣، ١٤]، (١٧٧).

(٨) رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم، (٣٥٦٢).

وزادَ بعضُهم مرتبةً سابعةً:

وهي: تكليمُ اللهِ تعالى له في الإسراءِ والمعراجِ كفاحًا منْ غيرِ حجاب، وهذا على مذهبِ مَنْ يقولُ: أنَّه – صلى اللهُ عليه وسلم – رأى ربَّه تبارك وتعالى، وهيَ مسألةٌ بينَ السلفِ والخلفِ(١٠).

قالَ الإمامُ البغوي – رحمهُ اللهُ –: الوحيُ مِنَ اللهِ – عزَّ وجلَّ – على أنبيائِه – عليهم السلامُ – أنواعٌ كَمَا قَالَ اللهُ تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١].

قالَ بعضُ أهلِ التفسيرِ:

الوحيُ الأول: ما أراهم في المنامِ، قالَ عبيدُ بن عمير: رؤيا الأنبياءِ وحيٌ، وَقَرَأَ: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢].

وقالَ غيرُ واحدٍ مِنْ أهلِ التفسيرِ في قولِه تعالى: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}: كَمَا كَلَّمَ موسى – عليه السلامُ – مِنْ وراءِ حجابٍ، حتَّى قالَ: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣]، وقولُه تعالى: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا}: فهوَ إرسالُ الروحِ الأمينِ؛ كَمَا قَالَ تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٢-١٩٣].

وَقَدْ كانَ لنبينا – صلى اللهُ عليه وسلم – جميعُ هذه الأنواع، فقالَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – في رؤياه: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} [الفتح: ٢٧].

---

(٩) الحديث: رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، (٣٨٨٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – إلى السماواتِ وفرض الصلوات، (١٦٢).

(١٠) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، (٧٩/١).